الأربعين

في

إمامة الأئمة الطاهرين عليهم السلام

العلامة المحقق المتكلم
محمد طاهر بن محمد حسين الشيرازي النجفي القمي
المتوفى سنة ١٠٩٨ هـ

تحقيق
السيد مهدي الرجائي

الأربعين

في إمامة الأئمة الطاهرين عليهم السلام

للعلامة المحقق المتكلم

محمد طاهر بن محمد حسين الشيرازي النجفي القمي

المتوفى سنة ١٠٩٨ هـ ق

تحقيق

السيد مهدي الرجائي

هوية الكتاب

❑ اسم الكتاب: الاربعين في إمامة الائمّة الطاهرين

❑ المؤلّف: الشيخ محمّد طاهر القميّ الشيرازي

❑ المحقّق: السيّد مهدي الرجائي

❑ المطبعة: مطبعة الامير

❑ الطبعة: الأولى

❑ تاريخ الطبع: ١٤١٨ هـ ق

❑ عدد الطبع: ١٠٠٠ نسخة

❑ الناشر: المحقّق

❑ العنوان: قم المقدّسة ـ ص ب ٧٥٣ ـ ٣٧١٨٥ ـ تلفون وفاكس ٧٣٢٠٦٧

الجمهورية الاسلامية الايرانية

الآيات التي فيها الحثّ على الطاعات والأعمال الصالحات ٤١١
الآيات الدالّة على عدم وجود الحرج في الدين ٤١١
قوله تعالى ﴿ وكونوا مع الصادقين ﴾ ٤١٢
أفضليّة أئمّتنا عليهم السلام على جميع من ادّعي الامامة في حقّه ٤١٣
فضائل خديجة ٤٨٣
فضائل فاطمة الزهراء عليها السلام ٤٨٥
مناقب جعفر بن أبي طالب ٤٨٧
مناقب أبي طالب واثبات ايمانه ٤٨٨
أدلّة المخالفين على أفضليّة أبي بكر ٥٠٤
بطلان امامة أوّل خلفائهم ٥٠٩
حكاية لطيفة ٥٢١
بطلان امامة ثاني خلفائهم ٥٣٣
بطلان امامة ثالث خلفائهم ٥٧٩
ما ورد في مثالب أعداء أهل البيت عليهم السلام ٦١٥
مثالب معاوية ٦٢٧
جواز اللعن على من يستحقّه وترتّب الثواب عليه ٦٣٣
أحوال الأئمّة الأربعة لأهل السنّة ٦٤١
قبائح فتاويهم التي أجمع فقهاؤهم عليها ٦٥٥
عقائدهم في الجبر والتفويض ٦٦١
مفاسد القول بالجبر ٦٦٥
فهرس مطالب الكتاب ٦٦٩

أرسل عبد الرحمٰن الى عثمان يعاتبه وقال لرسوله : قل له : لقد ولّيتك من أمر الناس وانّ لي لأُمور ما هي لك ، شهدت بدراً وما شهدتها ، وشهدت بيعة الرضوان وما شهدتها ، ففرت يوم أُحد وصبرت ، فقال عثمان لرسوله : قل له : أمّا يوم بدر فانّ رسول الله ﷺ ردّني الى ابنته لما بها من المرض ، وقد كنت خرجت للذي خرجت له ، ولقيته عند منصرفي ، فبشّرني بأجر مثل أُجوركم ، وأعطاني سهماً مثل سهامكم.

وأمّا بيعة الرضوان ، فانّه ﷺ بعثني أستأذن قريشاً في دخوله مكّة ، فلمّا قيل له: انّي قتلت بايع المسلمين على الموت لما سمعه عنّي ، وقال : ان كان حيّاً فأنا أُبايع عنه ، وصفّق باحدى يديه على الأُخرى ، وقال : يساري خير من يمين عثمان ، فيدك أفضل أم يد رسول الله ﷺ .

وأمّا صبرك يوم أُحد وفراري ، فلقد كان ذلك فأنزل الله تعالى العفو عنّي في كتابه ، فعيّرتني بذنب غفره الله لي ، ونسيت من ذنوبك ما لا تدري أغفر لك أم لم يغفر (١).

أقول : غيبة عثمان عن بدر وعن بيعة الرضوان وفراره يوم أُحد ثابت باقراره ، وأمّا ادّعاه في الاعتذار فلا بيّنة عليه ولا شاهد .

الدليل الأربعون

[ما ورد في مثالب أعداء أهل البيت عليهم السلام]

ممّا يدلّ على امامة أئمّتنا الاثني عشر ، أنّ عائشة كافرة مستحقّة للنار ، وهو مستلزم لحقّيّة مذهبنا وحقّيّة أئمّتنا الاثني عشر ؛ لأنّ كلّ من قال بخلافة الثلاثة اعتقد ايمانها وتعظيمها وتكريمها ، وكلّ من قال بامامة الاثني عشر قال باستحقاقها

---

(١) شرح نهج البلاغة ١ : ١٩٦ .

اللعن والعذاب ، فاذا ثبت كونها كذلك ثبت المدّعى ؛ لأنّه لا قائل بالفصل .

وأمّا الدليل على كونها مستحقّة للعن والعذاب ، فانّها حاربت أمير المؤمنين عليه السلام وقد تواتر عن النبيّ صلى الله عليه وآله « حربك حربي »[(١)] ولا ريب في أنّ حرب النبيّ صلى الله عليه وآله كفر .

وفي صحيح البخاري في باب ما ينهى من السابّ واللعن ، باسناده قال رسول الله صلى الله عليه وآله : سباب المسلم فسوق وقتاله كفر[(٢)] .

وانّها عادت عليّاً أمير المؤمنين عليه السلام وقد تواتر عن النبيّ صلى الله عليه وآله : اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه . وانّها كانت مبغضة لأمير المؤمنين عليه السلام ، وقد تواتر عن النبيّ صلى الله عليه وآله « انّ بغضه نفاق » وقد تقدّم الأخبار المتواترة المتّفق عليها في هذا المعنى . وأمّا بغضها لأمير المؤمنين عليه السلام ، ففي غاية الظهور .

وممّا يدلّ على بغضها قوله عليه السلام مخاطباً لأهل البصرة : فانّي حاملكم ان شاء الله على سبيل الجنّة ، وان كان ذا مشقّة شديدة ومذاقة مريرة ، وأمّا فلانة فأدركها رأي النساء وضغن غلا في صدرها كمرجل القين ، الى آخر الكلام[(٣)] .

ثمّ أقول : تكلّم ابن أبي الحديد المعتزلي في بيان ضغنها ، وطوّل الكلام فيها ، ثمّ ادّعى توبتها من غير برهان عقليّ ودليل نقليّ ، ومختصر كلامه في بيان أسباب ضغنها نقلاً عن اُستاده أبي يعقوب المعتزلي .

انّ أوّل ما بدأ الضغن كان بينها وبين فاطمة عليها السلام ، وذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله تزوّجها عقيب موت خديجة فأقامها مقامها ، وفاطمة هي ابنة خديجة ، ومن المعلوم أنّ ابنة الرجل اذا ماتت اُمّها وتزوّج أبوها امرأة اُخرى ، كان بين الابنة وبين المرأة

---

(١) راجع : احقاق الحقّ ٩ : ١٦١ - ١٧٤ .

(٢) صحيح مسلم ١ : ٨١ برقم : ٦٤ .

(٣) نهج البلاغة ص ٢١٨ برقم : ١٥٦ .

كدر وشنئان ، وهذا لابدّ منه ؛ لأنّ الزوجة تنفس عليها ميل الأب ، والبنت تكره ميل أبيها الى امرأة غريبة كالضرّة لأمّها ، بل ضرّة على الحقيقة .

ثمّ قال بعد كلام : وأكرم رسول الله ﷺ فاطمة عليها السلام اكراماً عظيماً أكثر ممّا كان الناس يظنّونه ، وأكثر من اكرام الرجال لبناتهم حتّى خرج بها عن حدّ حبّ الآباء للأولاد ، فقال بمحضر الخاصّ والعامّ مراراً لا مرّة واحدة ، وفي مقامات مختلفة لا في مقام واحد : انّها سيّدة نساء العالمين ، وانّها عديلة مريم بنت عمران ، وانّها اذ مرّت في الموقف نادى مناد من جهة العرش : يا أهل الموقف غضّوا أبصاركم لتعبر فاطمة بنت محمّد ﷺ ، وهذا من الأخبار الصحيحة وليس من الأخبار المستضعفة .

وانّ انكاحه علياً عليه السلام ايّاها ما كان الاّ بعد أن أنكحه الله تعالى ايّاها في السماء بشهادة الملائكة ، وكم قال لا مرّة : يؤذيني ما يؤذيها ، ويغضبني ما يغضبها ، وانّها بضعة منّي يريبني ما رابها . فكان هذا وأمثاله يوجب زيادة الضغن عند الزوجة حسب زيادة هذا التعظيم والتبجيل ، والنفوس البشريّة تغيّظ على ما هو دون هذا فكيف هذا .

ثمّ حصل عند بعلها ما هو حاصل عندها ، أعني : علياً عليه السلام ، فانّ النساء كثيراً ما يحصلن (١) الأحقاد في قلوب الرجال ، وكانت تكثر الشكوى من عائشة ، وتغشاها نساء المدينة وجيران بيتها ، فينقلن اليها كلمات عن عائشة ثمّ يذهبن الى بيت عائشة فينقلن اليها كلمات عن فاطمة ، وكما كانت فاطمة تشكو الى بعلها ، كانت عائشة تشكو الى أبيها ، لعلمها أنّ بعلها لا يشكيها على ابنته ، فحصل في نفس أبي‌بكر من ذلك أثر مّا ، ثمّ تزايد تقريظ رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام وتقريبه واختصاصه ، فأحدث ذلك حسداً له ، وغبطة في نفس أبي‌بكر عنه وهو أبوها ، وفي

---

(١) في الشرح : يجعلن .

نفس طلحة وهو ابن عمّها ، وهي تجلس اليها وتسمع كلامها ، وهما يجلسان اليها ويحادثانها ، فأعدى اليها منها كما أعدتها .

قال : ولست أبرّىء عليّاً من مثل ذلك ، فانّه كان ينفس على أبي‌بكر سكون النبي صلى الله عليه وآله اليه وثناءه عليه ، ويحبّ أن ينفرد هو بهذه المزايا والخصائص دونه ودون الناس أجمعين ، ومن انحرف عن انسان انحرف عن أهله وأولاده ، فتأكّدت البغضة بين هذين الفريقين .

ثمّ قال بعد كلام : ثمّ كان بينها وبين علي عليه السلام في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله أحوال وأقوال كلّها تقتضي تهييج ما في النفوس ، ثمّ قال : ونحو ما روي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله سايره - يعني : عليّاً عليه السلام - يوماً وأطال مناجاته ، فجاءت وهي سائرة خلفهما حتّى دخلت بينهما وقالت ، فيم أنتما ؟ فقد أطلتما ، فيقال : ان رسول الله صلى الله عليه وآله غضب ذلك اليوم .

فقال : ثمّ اتّفق أنّ فاطمة عليها السلام ولدت أولاداً كثيرة بنين وبنات ، ولم تلد هي ولداً ، وأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقيم بني فاطمة مقام بنيه ، ويسمّي الواحد منهما ابني ، ويقول : دعوا لي ابني ، ولا تزرموا على ابني ، وما فعل ابني . فما ظنّك بالزوجة اذا حرمت الولد من البعل ثمّ رأت البعل يتبنّى بني ابنته من غيرها ، ويحنو عليهم حنو الوالد المشفق ، هل تكون محبّة لأولئك البنين ولأمّهم ولأبيهم أم مبغضة ؟ وهل تودّ دوام ذلك واستمراره أم زواله وانقضاءه ؟

ثمّ اتّفق أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله سدّ باب أبيها الى المسجد وفتح باب صهره ، ثمّ بعث أباها ببراءة الى مكّة ثمّ عزله عنها بصهره ، فقدح ذلك أيضاً في نفسها ، وولد لرسول الله صلى الله عليه وآله ابراهيم بن مارية ، فأظهر علي عليه السلام بذلك سروراً كثيراً ، وكان يتعصّب لمارية ، ويقوم بأمرها عند رسول الله صلى الله عليه وآله ميلاً على غيرها ، وجرت لمارية نكبة مناسبة لنكبة عائشة ، فبرّأها علي عليه السلام وكشف بطلانها ، أو كشفه الله تعالى على

يده، وكان ذلك كشفاً محسّاً بالبصر ، لا يتهيّأ للمنافقين أن يقولوا فيه ما قالوه في القرآن المنزّل ببراءة عائشة ، وكلّ ذلك ممّا كان يوغر صدر عائشة عليه ، ويؤكّد ما في نفسها منه . ثمّ مات ابراهيم ، فأبطنت شماته وان أظهرت كآبة ، ووجم علي عليه السلام من ذلك وكذلك فاطمة ، وكانا يؤثران ويريدان أن تتميّز مارية عليها بالولد ، فلم يقدّر لهما ولا لمارية ذلك .

وبقيت الأمور على ما هي عليه وفي النفوس ما فيها ، حتّى مرض رسول الله صلى الله عليه وآله المرض الذي توفّي فيه ، فكانت فاطمة وعلي يريدان أن يمرّضاه في بيتهما ، وكذلك كان أزواجه كلّهنّ ، فمال الى بيت عائشة بمقتضى المحبّة القلبيّة التي كانت لها دون نسائه ، وكره أن يزاحم فاطمة وبعلها في بيتهما ، فلا يكون عنده من الانبساط لوجودهما ما يكون اذا خلى بنفسه في بيت من يميل اليه بطبعه ، وعلم أنّ المريض يحتاج الى فضل مداراة ونوم ويقظة وانكشاف وخروج حدث ، فكانت نفسه الى بيته أسكن منها الى بيت صهره وبنته ، فانّه اذا تصوّر حياءهما منه استحيا هو أيضاً منهما ، وكلّ أحد يحبّ أن يخلو بنفسه ، ويحتشم الصهر والبنت ، ولم يكن له الى غيرها من الزوجات مثل ذلك الميل اليها ، فتمرّض في بيتها ، فغبطت على ذلك .

ولم يمرض رسول الله صلى الله عليه وآله منذ قدم المدينة مثل هذا المرض ، وانّما كان مرضه الشقيقة يوماً أو بعض يوم ثمّ يبرأ ، فتطاول هذا المرض ، وكان علي عليه السلام لا يشكّ أنّ الأمر له ، وأنّه لا ينازعه فيه أحد من الناس .

ثمّ قال بعد كلام : فلمّا ثقل رسول الله صلى الله عليه وآله أنفذ جيش أسامة ، وجعل فيه أبابكر وغيره من أعلام المهاجرين والأنصار ، فكان علي عليه السلام حينئذ بوصوله الى الأمر - ان حدث برسول الله صلى الله عليه وآله حدث - أوثق ، وتغلّب على ظنّه أنّ المدينة لو مات لخلت من منازع ينازعه الأمر بالكلّيّة ، فيأخذه صفواً عفواً وتتمّ له البيعة ، فلا يتهيّأ فسخها لو رام ضدّ منازعته عليها ، فكان من عود أبي بكر من جيش أسامة

بارسالها اليه ، واعلامه بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله يموت ما كان ، ومن حديث الصلاة بالناس ما عرف ، فنسب علي عليه السلام عائشة أنّها أمرت بلالاً مولى أبيها أن يأمره فليصلّ بالناس ؛ لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كما روي قال : ليصلّ بهم أحدهم ولم يعيّن وكانت صلاة الصبح .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وهو في آخر رمق يتهادى بين عليّ عليه السلام والفضل بن العبّاس حتّى قام في المحراب ، كما ورد في الخبر ، ثمّ دخل فمات ارتفاع الضحى ، فجعل يوم صلاته حجّة في صرف الأمر اليه ، وقال : أيّكم يطيب نفساً أن يتقدّم قدمين قدّمهما رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولم يحملوا خروج رسول الله صلى الله عليه وآله الى الصلاة ، لصرفه عنها ، بل لمحافظته على الصلاة مهما أمكن ، فبويع على هذه النكتة التي اتّهمها عليّ عليه السلام على أنّها ابتدأت منها .

وكان عليّ عليه السلام يذكر هذا لأصحابه في خلواته كثيراً ، ويقول : انّه لم يقل صلى الله عليه وآله : انّكنّ لصويحبات يوسف ، الاّ انكاراً لهذه الحال وغضباً منها ؛ لأنّها وحفصة تبادرتا الى تعيين أبويهما ، وأنّه استدركها بخروجه وصرفه عن المحراب ، فلم يجد ذلك ، ولا أثّر مع قوّة الداعي الذي كان يدعوا الى أبي بكر ويمهّد له قاعدة الأمر ، وتقرّر حاله في نفوس الناس ومن اتّبعه على ذلك من أعيان المهاجرين والأنصار .

ولمّا ساعد على ذلك من الحظّ الفلكي والأمر السمائي ، الذي جمع عليه القلوب والأهواء ، فكانت هذه الحال عند عليّ عليه السلام أعظم من كلّ عظيم ، وهي الطامّة الكبرىٰ ، والمصيبة العظمىٰ ، ولم ينسبها الاّ الى عائشة وحدها ، ولا علّق الأمر الواقع الاّ بها ، فدعا عليها في خلواته وبين خواصّه ، وتظلّم الى الله منها ، وجرىٰ له في تخلّفه عن البيعة ما هو مشهور حتّى بايع .

وكان يبلغه وفاطمة عليها السلام عنها كلّ ما يكرهانه منذمات رسول الله صلى الله عليه وآله الى أن توفّيت فاطمة ، وهما صابران على مضض ورمض ، واستظهرت بولاية أبيها ،

واستطالت وعظم شأنها، وانخذل عليّ وفاطمه وقهرا، وأخذت فدك وخرجت فاطمة تجادل في ذلك مراراً فلم تظفر بشيء، وفي كلّ ذلك تبلّغها النساء والداخلات والخارجات عن عائشة كلّ كلام يسوئها، ويبلّغن عائشة عنها وعن بعلها مثل ذلك، الاّ أنّه شتّان ما بين الحالين، وبعد ما بين الفريقين، هذه غالبة وهذه مغلوبة، وهذه آمرة وهذه مأمورة، وظهر التشفّي والشماتة، ولا شيء أعظم مرارة ومشقّة من شماتة العدوّ.

فقلت له رحمه الله: أفتقول أنت: انّ عائشة عيّنت أباها للصلاة ورسول الله صلى الله عليه وآله لم يعيّنه؟ فقال: أمّا أنا، فلا أقول ذلك، ولكن عليّاً عليه السلام كان يقوله، وتكليفي غير تكليفه، كان حاضراً ولم أكن حاضراً، فأنا محجوج بالأخبار التي اتّصلت بي، وهي تتضمّن تعيين النبيّ عليه السلام لأبي‌بكر في الصلاة، وهو محجوج بما كان قد علمه، أو يغلب على ظنّه من الحال التي كان حضرها.

قال: ثمّ ماتت فاطمة عليها السلام، فجاءت نساء رسول الله صلى الله عليه وآله كلّهنّ الى بني هاشم في العزاء الاّ عائشة، فانّها لم تأت وأظهرت مرضاً، ونقل الى علي عليه السلام عنها كلام يدلّ على السرور.

ثمّ بايع علي عليه السلام أباها، فسرّت بذلك وأظهرت من الاستبشار بتمام النعمة واستقرار الخلافة، وبطلان منازعة الخصم ما قد نقله الناقلون فأكثروا، واستمرّت الأمور على هذا مدّة خلافة أبيها وخلافة عمر وعثمان، والقلوب تغلي والأحقاد تذيب الحجارة.

وكلّما طال الزمان على علي عليه السلام تضاعفت همومه وغمومه، وباح بما في نفسه، الى أن قتل عثمان، وقد كانت عائشة أشدّ الناس عليه تأليباً وتحريضاً، فقالت: أبعده الله، لمّا سمعت قتله، وأمّلت أن تكون الخلافة في طلحة، فتعود الامرة تيميّة كما كانت أوّلاً، فعدل الناس عنه الى علي بن أبي طالب عليه السلام، فلمّا سمعت ذلك صرخت

واغتيابه، قتل عثمان مظلوماً، وثار في الأنفس، حتّى تولّد من ذلك يوم الجمل ومابعد.

ثمّ قال ابن أبي الحديد: هذه خلاصة كلام الشيخ أبي يعقوب، ولم يتشيّع، وكان شديداً في الاعتزال (١).

وممّا يدلّ على أنّها كانت عدوّة لأمير المؤمنين عليه السلام ما رواه سعيد بن المسيّب عن وهب: أنّ فاطمة عليها السلام لمّا زفّت الى علي عليه السلام، قالت نسوة الأنصار، أبوها سيّد الناس، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: وبعلها ذو الشدّة والبأس، فلم يذكرن عليّاً عليه السلام، فقال في ذلك فقلن: منعتنا عائشة، فقال: ما تدع عائشة عداوتنا أهل البيت (٢).

وممّا يدلّ على ظلمها وعصيانها وكفرها، ما ذكره صاحب الصراط المستقيم، وهذا مختصر من كلامه: فصل في أمّ الشرور، أكثر اعتقاد القوم على رواياتها، وقد خالفت ربّها ونبيّها في قوله تعالى ﴿ وقرن في بيوتكنّ ﴾ الآية (٣) قال ابن عبّاس: لمّا علم الله حرب الجمل قال لنساء النبيّ صلى الله عليه وآله ﴿ وقرن في بيوتكنّ ﴾ الآية.

وفي أعلام النبوّة للماوردي، وفردوس الديلمي، عن ابن عبّاس، قال النبيّ صلى الله عليه وآله لنسائه: أيّتكنّ صاحبة الجمل الأدبب؟ تخرج فتفضحها كلاب الحوأب، يقتل عن يمينها ويسارها كثير.

وفي تاريخ البلاذري، وأربعين الخوارزمي، وفي الفضائل لابن مردويه، قال سالم بن الجعد: ذكر النبيّ صلى الله عليه وآله خروج بعض نسائه، فضحكت الحميراء، فقال: أنظري أن تكون هي، والتفت الى علي عليه السلام وقال: اذا ولّيت من أمرها شيئاً فارفق بها.

ان قيل: هذا دليل محبّة النبيّ صلى الله عليه وآله لها مع علمه بمحاربتها، فلم تنته المحاربة لها الى

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩: ١٩٢ - ١٩٩.

(٢) الصراط المستقيم ٣: ١٦٦ - ١٦٧.

(٣) الأحزاب: ٣٣.

تكفيرها كما تزعمون فيها.

قلنا: كيف ذلك وقد اجتمعنا وإيّاكم على قوله «يا علي حربك حربي» وحرب النبيّ ﷺ كفر. وقد نقل ابن البطريق في عمدته عن الجمع بين الصحيحين قول النبيّ ﷺ «من سلّ علينا السيف فليس منّا» وقال النبيّ ﷺ في موضع آخر: علي منّي بمنزلة الرأس من الجسد. ولم يرد بقوله «ليس منّا» نفي الجنسيّة ولا القرابة ولا الزوجيّة؛ لأنّ ذلك لا تنفيه المحاربة، فالمراد ليس من ديننا.

وأمّا وصيّته له عليه السلام بالارفاق، فإنّما هو حصون[1] لعرض علي عليه السلام من أهل النفاق. وقد أخرج أبو نعيم في كتاب الفتن وغيره حديث ماء الحوأب. وأخرج صاحب المراصد قول النبيّ ﷺ لعائشة: أما تستحين أما تحاربين من رضي الله عنه؟ انّه لعهد اليّ أنّه من خرج على علي فهو في النار. وقد رويتم قول النبيّ ﷺ لعلي عليه السلام «بغضك سيّئة لا ينفع معها حسنة» فحرب الجمل أكان عن حبّ أو بغض؟

وفي تاريخ الطبري: روي أنّها كانت تركب الجمل وتحمل السلاح وترتجز:

شكوت رأساً قد مللت حمله وقد مللت دهنه وغسله

ألا فتىً يحمل عنّا كلّه

وقطع على خطام جملها أربعمائة يد وهي مسرورة.

وروى الواقدي أنّ عماراً قال لها: كيف رأيت ضرب بنيك عن أديانهم؟ فقالت: لسم لي ببين، قال: صدقت أُمّهاتنا من نساء النبيّ ﷺ ذوات الحجاب المطيعات لله ولرسوله وأنت مخالفة لها. وقد رويت أنّ النبيّ ﷺ لعن المرأة المتشبّهة للرجال، والرجل المتشبّهة بالنساء.

وفي رواية الشعبي: استشارت أمّ سلمة في الخروج، فنهتها وقالت: ألا تذكرين

---

(١) في الصراط: صون

قول النبيّ ﷺ : لا تذهب الأيّام والليالي حتّى تنابح كلاب الحوأب على امرأة من نسائي في فئة طاغية فضحكت أنت ، فقال : انّي لأحسبك هيه ، فلمّا تهيّأت للخروج أنشأت أمّ سلمة تقول شعراً :

نصحت ولكن ليس للنصح قابل ولو قبلت ما عنّفتها العواذل

اذا عرفت هذا فالقوم ادّعوا توبتها ليزيلوا بها جريمتها ، وهي رواية من طرقهم ، فليس حجّة على خصمهم ، ومع ذلك فالتوبة رواية والمحاربة دراية ، والرواية لا تعارض الدراية ، وأين التوبة والنّزوع عن بغضها امام العصر ؟ وقد قالت حين بلغها قتله عليه السلام ما ذكره ابن مسكويه وفي تاريخ الطبري :

فألقت عصاها واستقرّ بها النوى كما قرّ عيناً بالاياب المسافر

وذكروا أنّ عليّاً عليه السلام ندم على ذلك وهذا زور وبهت ، كيف ذلك ؟ وقد أخبره النبيّ ﷺ أنّها تقاتله ظالمة له ، وفي صحيح البخاري : الفتنة تخرج من هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان ، وأشار الى مسكن عائشة .

وقد نقل ابن أعثم صاحب الفتوح ، أنّها كانت قبل ذلك تقول : أُقتلوا نعثلاً قتل الله نعثلاً ، فلقد أبلى سنّة النبيّ وثيابه لم تبل ، ولمّا قتل قالت : قتل مظلوماً وأنا طالبة بدمه ، فقال لها عبيد : أوّل من طمّع الناس فيه أنت فقلت : أُقتلوا نعثلاً فقد فجر ، قالت : قلته وقاله الناس ، فأنشأ :

منك البداء ومنك الغير ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت أمرت بقتل الامام وقلت لنا انّه قد فجر
ونحن أطعناك في قتله وقاتله عندنا من أمر

قالوا : أذهب الرجس عنها . قلنا : وأيّ رجس أعظم من محاربة امامها ، فهذه أعظم فاحشة ، وقد قال تعالى ﴿ يا نساء النبيّ من يأت منكنّ بفاحشة مبيّنة

يضاعف لها العذاب ضعفين ﴾(١) وقد أخبر الله تعالى عن امرأتي نوح ولوط أنّهما لن يغنيا عنهما من الله شيئاً ، وكان ذلك تعريضاً من الله لعائشة وحفصة في فعلهما ، وتنبيهاً على أنّهما لا يتّكلان على رسوله ، فانّه لم يغن عنهما .

هذا وقد شكّت في نبوّته عليه السلام ، فذكر الغزالي في الاحياء أنّها قالت : انّك أنت الذي تزعم انّك نبيّ ؟ ولم ينقل أحد أنّها تيقّنت بعد ذلك . وفي الاحياء أيضاً : كان بينه وبينها كلام ، فأدخل أباها حاكماً ، فقالت : قل ولا تقل الاّ حقّاً ، فلطمها أبوها وقال : يا عدوّة الله النبيّ يقول غير الحقّ ؟

وفي مجمع البيان : لمّا نزلت ﴿ وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبيّ ﴾(٢) قالت عائشة : ما أرى الله الاّ يسارع في هواك ، وفي هذا تهمة لرسول الله صلى الله عليه وآله وعدم الرضا بقضائه .

ولقد افترت على نبيّها ما رواه الزهري عنها أنّها قالت : قال النبيّ صلى الله عليه وآله : انّ عليّاً والعبّاس يموتان على غير ملّتي ، وقالت : قال صلى الله عليه وآله : ان سرّك أن تنظري الى رجلين من أهل النار فانظري اليهما . فقبّح الله قوماً يروون ذلك في وصيّ نبيّهم ، وقد تواترت فيه محبّة الله ورسوله ، وغيرها من فضائله .

وروى سعيد بن المسيّب عن وهب أنّ فاطمة عليها السلام لمّا زفّت الى علي عليه السلام ، قالت نسوة الأنصار : أبوها سيّد الناس ، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله : فلن وبعلها ذو الشدّة والبأس ، ولم يذكروا عليّاً ، فقال في ذلك ، فقلن منعتنا عائشة ، فقال : ما تدع عائشة عداوتنا أهل البيت .

وفي الجمع بين الصحيحين من افراد البخاري ، أنّ ابن الزبير أراد أن يحجر عليها ، فهذه شهادة منه وممّن سمع حديثه ولم ينكره : أنّها أتت ما يوجب الحجر كالسفه

---

(١) الأحزاب : ٣٠ .

(٢) الأحزاب : ٥٠ .

والجنون [١]. انتهى كلامه في عائشة.

ومما يدلّ على كفرها وكفر حفصة: أنّهما تظاهرها على رسول الله صلى الله عليه وآله، وشبّههما الله بامرأة نوح وامرأة لوط، وهما كافرتان. وقد تضمّن ما ذكرناه سورة التحريم.

وفي صحيح البخاري في باب قوله ﴿ وإذ أسرّ النبيّ الى بعض أزواجه ﴾ [٢] باسناده عن عبيد بن حنين، قال: سمعت ابن عبّاس يقول: أردت أن أسأل عمر، فقلت: يا أمير المؤمنين من المرأتان اللتان تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فما أتممت كلامي حتّى قال: عائشة وحفصة.

وفي باب قوله ﴿ ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما ﴾ باسناده عن ابن عبّاس، كنت أُريد أن أسأل عمر عن المرأتين اللتين تضاهرتا، فكثت سنة لم أجد له موضعاً حتّى خرجت معه حاجّاً، فلمّا كنّا بظهران ذهب عمر لحاجته، فقال: أدركني بالوضوء، فأدركته بالأداوة، فجعلت أسكب عليه ورأيت موضعاً فقلت: يا أمير المؤمنين من المرأتان اللتان تظاهرتا؟ فقال ابن عبّاس: فما أتممت كلامي حتّى قال: عائشة وحفصة [٣].

فصل
في بيان أُختها في الشقاوة حفصة

طلّقها النبيّ صلى الله عليه وآله في حديث أنس وخيرة الزجّاج، فسأله أبوها عن طلاقها، فقال: انطلق عنّي أما والله انّ قلبك لوعر، وانّ لسانك لقذر، وانّ دينك لعور، ثمّ انّك لأضلّ مضلّ ذكر، وانّك من قوم غدر، أما والله لولا ما أمرني من تألّف عباده لأبدينّ للناس أمركم، أغرب عنّي، فوالله ما يؤمن أحدكم حتّى يكون النبيّ أحبّ

(١) الصراط المستقيم ٣: ١٦١ – ١٦٧.

(٢) التحريم: ٣.

(٣) صحيح البخاري ٦: ٧٠ – ٧١.

اليه من أبيه وأُمّه وولده وماله ، فقال : والله أنت أحبّ اليّ من نفسي ، فأنـزل الله ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله الاّ وهم مشركون ﴾ (١) .

وفي حديث ابن علوان والديلمي ، عن الصادق عليه السلام : في قوله ﴿ واذ أسرّ النبيّ الى بعض أزواجه حديثاً ﴾ هي حفصة ، قال الصادق عليه السلام : كفرت في قولها ﴿ من أنبأك هذا ﴾ وقال الله فيها وفي أُختها ﴿ ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما ﴾ أي : زاغت ، والزيغ الكفر .

وفي رواية : أنّه أعلم حفصة أنّ أباها وأبابكر يليان الأمر ، فأفشت الى عائشة ، فأفشت الى أبيها ، فأفشى الى صاحبه ، فاجتمعا الى أن يستعجلا ذلك يسقينه سمّاً ، فلمّا أخبره الله بفعلهما همّ بقتلهما ، فحلفا له أنّهما لم يفعلا ، فنزل ﴿ يا أيّها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم ﴾ (٢) .

وكتبت عائشة الى حفصة : نزل علي بذي قار ، ان تقدّم نحر ، وان تأخّر عقر ، فجمعت حفصة النساء وضربن المزامير وقلن : ما الخبر ما الخبر ، علي في سفر ، ان تقدّم نحر ، وان تأخّر عقر ، فدخلت أمّ سلمة وقالت : ان تظاهرا عليه فقد تظاهرتما على أخيه من قبل (٣) .

تذنيب
في مثالب معاوية رأس الزنادقة

وهـو الذي سمّاه النـواصب كـاتب الوحـي وخـال المـؤمنين ، بـغضاً لأمير المؤمنين عليه السلام وعديله ونظيره في كفره والزندقة عمرو بن العاص وطلحة والزبير .

والدليل على كفر هؤلاء الأربعة في غاية الوضوح ؛ لأنّ الأمّة بين قائلين : قائل

---

(١) يوسف : ١٠٦ ، الصراط المستقيم ٣ : ١٦٨ .

(٢) التحريم : ٧ .

(٣) الصراط المستقيم ٣ : ١٦٨ - ١٦٩ .

بكفر هؤلاء ، وهم القائلون بإمامة أمير المؤمنين عليه‌السلام من غير فصل وكفر الخلفاء الثلاثة ، وقائل بإيمان هؤلاء ، وهم أكثر القائلين بإمامة الخلفاء الثلاثة ، فلمّا أثبتنا بطلان خلافة الثلاثة ، ثبت كفر هؤلاء ؛ لعدم القائل بالفصل .

على أنّه قد تواتر وصحّ عن النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله قوله لعليّ عليه‌السلام : حربك حربي ، وحبّك إيمان وبغضك كفر ونفاق ، وقد أوردنا الأحاديث الكثيرة في هذا المعنىٰ في الفاتحة وفي الدليل الثامن والثلاثين المشتملة على مثالب عمر ، وهؤلاء حاربوا عليّاً عليه‌السلام ، وأبغضوه فكفروا ونافقوا .

وأيضاً قد تواتر عن النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله : اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه الى آخر الكلام ، فهؤلاء من الذين عاداهم الله وخذلهم ، والله لا يعادي الاّ الكافرين والمنافقين .

وممّا يدلّ على بغي معاوية وضلالة ما تواتر عن النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله أنّ عمّاراً تقتله الفئة الباغية ، وقد قتله أصحاب معاوية وهو من أصحاب عليّ عليه‌السلام ، وممّن روىٰ هذا الخبر الحميدي في كتاب الجمع بين الصحيحين في مسند أبي سعيد الخدري في الحديث السادس عشر من أفراد البخاري ، قال : انّ رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله قال : ويح عمّار تقتله الفئة الباغية لا أنالها الله شفاعتي ، يدعوهم الى الجنّة ويدعونه الى النار [(١)] .

ونقل عن محمود الخوارزمي في كتاب الفائق في باب سائر معجزات النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله ، أنّه قال : قال النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله لعمّار : ستقتلك الفئة الباغية ، فقتله أصحاب معاوية ، ثمّ قال : ولشهرة الحديث ما أنكره معاوية وما ردّه ، بل قال : قتله من جاء به ، فقال ابن عبّاس : فقد قتل رسول الله حمزة لأنّه جاء به الى الكفّار فقتلوه [(٢)] .

---

(١) صحيح البخاري ١ : ١١٥ ، وصحيح مسلم ٤ : ٢٢٣٦ ، والصراط المستقيم ٣ : ١٧٥ ، والطرائف ص ٥٠٠ عن الحميدي .

(٢) الطرائف ص ٥٠٠ ـ ٥٠١ عنه .

قال ابن أبي الحديد في شرحه على نهج البلاغه : ومعاوية مطعون في دينه عند شيوخنا يرمى بالزندقة ، وقد ذكرنا في نقض السفيانيّة على شيخنا أبي عثمان الجاحظ ، ما رواه أصحابنا في كتبهم الكلاميّة عنه من الالحاد والتعرّض لرسول الله صلى الله عليه وآله ، وما تظاهر به من الجبر والارجاء ، ولولم يكن شيء من ذلك ، لكان في محاربته الامام ما يكفي في فساد حاله ، لا سيّما على قواعد أصحابنا ، وكونهم بالكبيرة الواحدة يقطعون على المصير الى النار والخلود فيها ان لم تكفرّها التوبة[(١)] ، انتهى .

ونقل في شرحه عن حبيب بن أبي ثابت ، قال : لما كان قتال صفّين ، قال رجل لعمّار : يا أبا اليقظان ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وآله : قاتلوا الناس حتّى يسلموا ، فاذا أسلموا عصموا منّي دماءهم وأموالهم ؟ قال : بلى ، ولكن والله ما أسلموا ، ولكن استسلموا وأسرّوا الكفر حتّى وجدوا عليه أعواناً[(٢)] .

وفيه أيضاً : عن منذر الثوري ، قال : قال محمّد بن الحنفيّة : لمّا أتاهم رسول الله صلى الله عليه وآله من أعلى الوادي ومن أسفله ، وملأ الأودية كتائب ـ يعني يوم فتح مكّة ـ استسلموا حتّى وجدوا أعواناً[(٣)] .

وفيه عن عبدالله بن مسعود ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : اذا رأيتم معاوية بن أبي سفيان يخطب على منبري فاضربوا عنقه . فقال الحسن : فوالله ما فعلوا ولا أفلحوا[(٤)] .

وفي تاريخ أعثم الكوفي ، قال عمّار لعمرو بن العاص : وقد أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) شرح نهج البلاغة ١ : ٣٤٠ .

(٢) شرح نهج البلاغة ٤ : ٣١ .

(٣) شرح نهج البلاغة ٤ : ٣١ ـ ٣٢ .

(٤) شرح نهج البلاغة ٤ : ٣٢ .